115480 ـ هل يحزن أهل الجنة على أقربائهم وأحبابهم وهم يُعذبون في النار ؟

السؤال

نعتقد أن ساكني الجنة لن يقلقوا على أي شيء ، لكن لو أن شخصاً من عائلته ، أو محبوبه دخل النار : كيف يمكنه أن يكون سعيداً مع علمه أنهم يعاقبون ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

كتب الله لأهل الجنة السعادة ، والفرح ، والسرور ، فهم يتقلبون في نعَم الله تعالى ، ونعيمه ، بفضلٍ منه ورحمة ، وليس في الجنة حزن ، ولا هم ، ولا غم ، لأهلها ، بل هم في نعيم دائم ، وفضل عميم ، من ربهم الرحمن الرحيم .
قال تعالى : (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة/ 112 .
وقال تعالى : (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ) التوبة/ 21 .
ومما لا شك فيه أن بعض من يدخل الجنة سيكون له أصحاب ، وأحباب ، وأقرباء ، وأهلون ، من أهل النَّار ، فهل سينغص ذلك عليه سعادته ، ويكدِّر عليه صفو نعيمه ؟ الجواب : كلا ، لن يكون ذلك البتة ، ولم نجد شيئاً في الشرع – على حد علمنا – منصوصاً عليه في ذات المسألة ، لكننا يمكننا الجزم بما ذكرناه ، وأن لذلك أسباباً كثيرة ، منها:
1. علم أهل الجنة بالحكم الشرعي .
2. تسليمهم بالحكمة الربانية .
3. ونعيمهم وهناؤهم العظيم ينسيهم ما فيه غيرهم من المستحقين للعذاب .

ولنقف مع ما يؤيد ذلك مع موقفين اثنين :
الأول : لإبراهيم عليه السلام مع أبيه الكافر ، يوم القيامة .
والثانية : لرجل من أهل الجنَّة له صديق رآه من الجنَّة وهو في وسط جهنَّم .
أما الموقف الأول : فإن إبراهيم عليه السلام كان قد دعا ربَّه تعالى أن لا يخزيه يوم البعث ، وعندما يكون الحكم على أبيه الخلود في جهنَّم : يطلب إبراهيم عليه السلام من ربه تعالى أن يحقق له دعاءه في أبيه ، فيُؤتى بأبيه أمامه ، فيمسخه الله ضبعاً ، فيؤخذ بقوائمه ، فيُلقى في نار جهنَّم ، ويُخبر إبراهيم عليه السلام بحكم الله تعالى في عدم دخول الكفار الجنَّة ، فيسلِّم إبراهيم عليه السلام للحكم ، والحكمة .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَة ، وَعَلَى وَجْه آزَرَ قَتَرَة

وَغَبَرَة ، فَيَقُول لَهُ إِبْرَاهِيم : أَلَمْ أَقُلْ لَك لَا تَعْصِنِي ؟ فَيَقُول أَبُوهُ : فَالْيَوْم لَا أَعْصِيك ، فَيَقُول إِبْرَاهِيم : يَا رَبِّ إِنَّك وَعَدْتنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيّ خِزْي أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَد ، فَيَقُول اللَّه : إِنِّي حَرَّمْت الْجَنَّة عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَال : يَا إِبْرَاهِيم مَا تَحْتَ رِجْلَيْك ؟ أُنْظُرْ ، فَيَنْظُر ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخ ، فَيُؤْخَذ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّار . رواه البخاري (3350) .

الذِّيخ : ذَكَر الضِّبَاع ، وَقِيلَ : لَا يُقَال لَهُ ذِيخ إِلَّا إِذَا كَانَ كَثِير الشَّعْر .

وقيل في مسخ أبيه بضبع ملطّخ أمام إبراهيم : حتى لا يكون لإبراهيم عليه السلام تعلُّق بصورة أبيه الحقيقية وهو في نار جهنم ، وقيل : هو استجابة لدعائه ، وقيل غير ذلك ، وبكل حال : فإن هذا يصلح دليلاً على تسليم أهل الجنَّة بما قدَّره الله تعالى على المستحقين للخلود في نار جهنَّم .

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ ـ في الحكمةِ من مسخِ آزر على صفةِ الذيخِ ـ :

قيل : الحكمة في مسخه : لتنفر نفس إبراهيم منه ؛ ولئلا يبقى في النار على صورته ، فيكون فيه غضاضة على إبراهيم .

وقيل : الحكمة في مسخه ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان ، وآزر كان من أحمق البشر ؛ لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصرَّ على الكفر حتى مات ، واقتصر في مسخه على هذا الحيوان : لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه ، كالكلب ، والخنزير ، وإلى ما فوقه ، كالأسد مثلاً ؛ ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له ، وخفض الجناح ، فأبى ، واستكبر ، وأصر على الكفر ، فعومل بصفة الذل يوم القيامة ؛ ولأن للضبع عوجا فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين .

" فتح الباري " (8 / 500) .

وأما الموقف الثاني : فإن فيه صورة تكاد تكون أبلغ من الأولى ، ومطابقة للسؤال ، وهي إخبار من الله تعالى عن مؤمن من أهل الجنَّة يمكنه ربه من رؤية صديق له في وسط النَّار ، فلا يصيبه الحزن ، ولا الكدر ، بل يشكر ربه المتفضل عليه بالهداية ، والإنجاء من الكفر والنار ، ويلتفت لنعيمه الذي هو ، ويشتغل به .

قال تعالى : (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ . أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ . قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ . فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ . قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ . وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ . أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) الصافات/ 50 – 61 .

قال ابن القيم – رحمه الله ـ :

ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا ، وما صار إليه ، هذا أظهر الأقوال ، وفيها قولان آخران : أحدهما : أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدّث بعضهم بعضاً : هل أنتم مطلعون ، رواه عطاء عن ابن عباس ، والثاني : أنه مِن قوله الله عز وجل لأهل الجنة ، يقول لهم : هل أنتم مطلعون ؟ .

والصحيح : القول الأول ، وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ، ومحادثيه ، والسياق كله ، والإخبار عنه ، وعن حال قرينه .

" حادي الأرواح " (ص 179) .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله ـ :

(قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) يقول المؤمن مخاطبا للكافر : والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك . (وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي : ولولا فضل الله عليَّ : لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تفضل عليَّ، ورحمني ، فهداني للإيمان ، وأرشدني إلى توحيده (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف/ 43 .

وقوله : (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هذا من كلام المؤمن مغبطاً نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة ، والإقامة في دار الكرامة ، لا موت فيها ، ولا عذاب ؛ ولهذا قال : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

" تفسير ابن كثير " (7 / 16) .

هذا الذي يمكننا قوله في هذه المسألة ، وأن المؤمن يعلم حكم الله في الكفار ، ويسلم لحكمة الله تعالى ، وينسيه ما هو فيه من نعيم ، ما يكون عليه غيره من أهله وأحبابه في النار ؛ رحمة ، وفضلاً من ربه عز وجل .

والله أعلم